المشرق

ختام
اليوبيل البابويّ

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد ادركنا منذ الاسبوع الاخير (١ بحسن عونهِ تعالى ختام اليوبيل البابويّ فاسعدَنا الحظّ بان نشاهد ما لم تحظَ قبلنا بمشاهدتهِ كنيسة الله في القرون الغابرة اللهمَّ الّا مرّةً في شخص الطيّب الذكر بيوس التاسع سلف قداسة ابينا وعظيم احبارنا لاون الثالث عشر المالك سعيدًا. فانَّ الكرادلة كانوا اذا أجلسوا على الكرسيّ الرسوليّ من اختاروهُ خلفًا لهامة الرُّسل بعد اداء فرائض الخضوع يسمعونهُ هذه الكلمة المشاعة: «لن ترى سني بطرس». فلمَّا ملك البابا السابق وضبط زمام الرئاسة على الكنيسة جمعاء احدى وثلاثين سنة بنيفٍ انتقض هذا القول للمرَّة الاولى. ثم ظهر بطلانهُ ثانيةً في هذه الأيام الاخيرة في حبرنا الجليل وتاج راس كنيستنا البابا لاون فبلغ سني بطرس وبعد مضيّ شهرين ان شاء الله يربي على ايّامهِ ايضًا (٢. وهكذا ظهرت عنايتهُ تعالى بكنيستهِ المقدَّسة اذ شدَّ ازرها بحبرين متواليين رعيا شعبهُ بدرايةٍ عجيبة في مدَّةٍ تنيف على نصفِ قرن. ومن ثمَّ نرى اليوم العالم الكاثوليكيّ يجدّد في نسبة ختام هذا اليوبيل

١) ارتقى لاون الثالث عشر الى السدَّة البطرسيَّة في ٢٠ شباط من سنة ١٨٧٨ امَّا حفلة تتويجهِ فكانت في ٣ اذار منها

٢) رعى بطرس الرسول كنيسة الله في رومية ٢٥ سنة وشهرين وسبعة ايّام

مظاهر الفرح ويكرّر مجالي الاكرام التي سبق فقدّمها سلفاً في بدء السنة اليوبيليّة. وكان المشرق برز مع رصيفهِ البشير في بزّة العيد فلبس كلاهما ثوبًا من البهاء والرونق استلفت الابصار واستعطف الخواطر

ولا يسعنا في ختام هذه السنة المباركة الّا ان نضيف صوتنا الضعيف الى اصوات اخوتنا اولاد البيعة المقدّسة الرومانيّة الارثذكسيّة من جميع الشعوب والقبائل ونردّد معهم آيات الشكر للعزّة الالهيّة التي اصطفت في ايّامنا هذه الحرجة ذلك الراعي الصالح والحبر المفضال وأيّدتهُ بروحها الاقدس وزانتهُ بالمدارك السامية والفضائل الزاهية والهمّة العالية ليكون كسيّدهِ الذي ينوب عنهُ في الارضين « نورًا ينجلي للامم ومجدًا لشعبهِ اسرائيل ». ثم نرفع اكفّ الضراعة الى ابي المواهب طالبين اليهِ بان يُنسئ في اجلهِ ويذلّل امامهُ المصاعب ويعزّي قلبهُ الابوي برجوع الخراف الشاردة الى الحظيرة البطرسيّة فيتمّ في ايّامهِ وعدهُ تعالى في انجيلهِ الطاهر بأن تتألف رعيّة واحدة تحت راعٍ واحد

ولمّا كنّا في عامنا الماضي قد عدّدنا مناقب امام الاحبار وبيّنّا قسمًا من اعمالهِ الخطيرة ومشروعاتهِ الآنية الى مجدهِ عزّ وجلّ وخير الكنيسة رأينا هذه السنة ان نكتب فصلًا في هيئة الكرسي الرسولي ونظام البلاط البابويّ ليقف القرّاء على مفاخر الكنيسة الكاثوليكيّة اورشليم الجديدة مدينة العليّ التي رآها الرسول يوحنّا الحبيب نازلةً من عند الله كالعروس المزيّنة لخطيبها المسيح (رؤيا ٢١: ٢)

*

انّ الكاثوليكيّ الصادق الامانة بل كل رجل صائب الفكر اذا ما اجال رأيهُ في النظام العجيب الذي امتازت بهِ الكنيسة الرومانيّة من حيث وحدة رأسها وتوفّر عمّالها وائتلاف اعضائها وانتشار حيويّتها الى اقاصي المعمورة لا يتمالك من تكرار كلام النبيّ بلعام اذ اطلق الله لسانهُ بازاء معسكر شعب اسرائيل وانطقهُ بما حوفهُ (عدد ٢٤: ٥ الخ): ما اجمل خيامك يا يعقوب. واخبيتك يا اسرائيل منبسطة كأودية وكجنّات على نهر وكاغراس عودٍ غرسها الربّ وكأرز على مياه... جثا وربض كاسدٍ وكلبوءة فمن ذا يثيرهُ...». فهذا الكلام الشعريّ اللهجة يصدق في كنيسة المسيح اكثر منهُ في اسباط اسرائيل. ولا غرو لانّ ما كان يعرض لبني اسرائيل انّما كان رمزًا عن

احوال شعب آخر جعل الله الاسرائيليين كصورتهِ وخيالهِ على حسب قول رسول الامم في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس. وفي هذه النبذة مصداق لقولنا تبيّن ترتيب الكنيسة واتساق دوائرها وانتظام اقسامها. ولايضاح غايتنا نتكلّم اوّلًا عن الحبر الاعظم ثمَّ عن حشمهِ ورجال بلاطهِ واعيان دولتهِ ثم عن المجامع والدواوين التي تساعدهُ في قضاء الامور ثم عن العالم الكاثوليكيّ المدبَّر بعنايتهِ

١ الحبر الاعظم

﴿ اسمهُ والقابهُ ﴾ هو البابا ويدعوهُ العرب البابة او الباب (راجع المشرق٥: ٢٠٨ و ٢٢٢) نائب المسيح على الارض. خلف هامة الرسل بطرس الصفاة. راس الكنيسة المنظور امام الاحبار وراعي الرعاة. ابٌ عامٌ لكلّ المؤمنين قُلّد سياستهم دون استثناء. لهُ الحلُّ والعقد في تدبير شؤونهم الروحيَّة يعلّمهم ويرشدهم وهو في تعليمهِ معصوم عن الخطإ « اذا ما علّمهم بصفة كونهِ راعيًا ومعلماً لجماعة المسيحيين فاوعز اليهم بقوَّة سلطانهِ السامي الممنوح لهُ من الربّ في شخص بطرس الرسول بان يعتقدوا احدى القضايا المختصة بالايمان والآداب » (كلام المجمع الفاتيكاني). وللبابا حقّ الرئاسة على المجامع المسكونيَّة لا تثبت اعمالُها الّا بتقريرهِ. لهُ التصرُّف التامّ في اختيار البطاركة والكرادلة والمطارنة والاساقفة فيمنحهم ما شاء من السلطة والانعامات والامتيازات. ومع ان البابا راس بيعة الله هو ايضاً بنوع خاصّ بطريرك البلاد الغربيَّة وجاثليق ايطالية ومطران الاقليم الرومانيّ واسقف رومية. وهو فضلًا عن ذلك ملك زمنيّ يمتدُّ حكمهُ على الاملاك البابويَّة التي سُلبها في ٢٠ ايلول سنة ١٨٧٠. فاضحى منذ ذاك الحين سجينًا اختياريًا في بلاطهِ يُقيم الحجَّة كلَّ عام على من غصبهُ مملكتهُ التي لا بُدَّ ان تعود اليهِ يوماً لاستقلال الكرسيّ الرسوليّ واتمام مهنتهِ السامية بملء الحريَّة

﴿ مقامهُ ﴾ الآن في الفاتيكان وهو قلّة من قُلل رومية السبع موقعهُ على الضفَّة اليمنى من نهر التيبر وفوق هذه القلّة قصر ملكي طولهُ ٢٥٠ مترًا ذو ثلاث طبقات يسكنهُ الحبر الاعظم وحاشيتهُ. وهذا القصر عبارة عن ابنية فخيمة لا تجمع بينها هندسة عموميَّة لانها من عمل اجيال شتَّى. وفيها من الردهات والقاعات والمقاصير والدهاليز والمعابد والمتاحف والمكاتب ما لا يُحصى ولا يُقدَّر لهُ قيمة. وهذه المباني الجليلة قد عُني

بتشييدها ونقشها وتجهيز اثاثها اكبر المهندسين واعظم المصوّرين وابرع النقّاشين ممّن ضُرب المثل في شريف اعمالهم كرفائيل وميكال انج وبرامنتي وليغوريو وفُنتانا. وفي الواتيكان من الآثار الدينيّة والعاديّات والمخطوطات العزيزة الوجود ما لا يكفي لوصفهِ الوفٌ من المجلّدات الضخمة. امّا الرُتب الدينيّة فيقيمها الحبر الاعظم في الغالب في المعبد السكستيّ الذي تُرى في سقفهِ صورة الدينونة الاخيرة للمصوّر البارع ميكال انج. وللفاتيكان حدائق واسعة جامعة كلّ ما يروق العين نظرهُ من النبات والازهار والاشجار ولهُ مرصدٌ مجهّز بكل الادوات الفلكيّة التي تُرى في مراصد الدول الكبرى. والفاتيكان لاحق بساحة القديس بطرس الشهيرة (انظر الصورة ١) التي طولها ٢٤٠ مترًا في عرض ١٩١ م تحدق بها اربعة صفوف من الاعمدة الجباريّة على شكل الاروقة في عدد ٢٨٤ عمودًا. وفي وسط الساحة مسلّة مصريّة جُعلت هناك بهمّة سكستس الخامس وعلى جانبها حوضان تفور منهما المياه على علوّ ستة امتار ونصف وفي اعلى هذه الساحة ساحةٌ اخرى اصغر منها يُرتقى اليها بدرج ومنها يُصعد الى كنيسة القديس بطرس اعظم كنائس المعمورة كلها (انظر رسمها هنا)

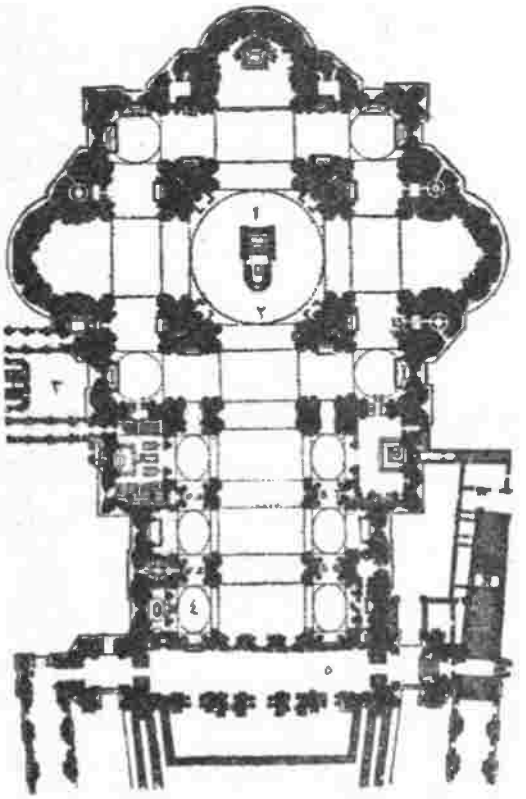

١ الهيكل البابوي = ٢ قبر الرسولين بطرس وبولس = ٣ الموقه (السكرستيا) = ٤ جرن المعموديّة = ٥ الرواق = ٦ كرسيّ مار بطرس

يُدخل اليها من خمسة ابواب احدها لا يُفتح الَّا في سنة اليوبيل كلَّ ٢٥ سنة. وطول الكنيسة ١٨٧ مترًا ما خلا رواقها واكبر كنيسة بعد كنيسة القديس بطرس كنيسةُ القديس بولس في لندن لا يتجاوز طولها ١٦٩ مترًا. وكنيسة القديس بطرس على هيئة صليب في وسطها قبر الرسولين الاعظمين بطرس وبولس تحت قبَّة الكنيسة التي تبلغ من الحضيض الى الصليب الذي يعلوها ١٣٣ مترًا و ٦٩ سنتيمترًا وقطر القبَّة في اسفلها ٤٢ مترًا و ٢٠ س قد كُتب في دائرتها آية متى: انت الصفاة وعلى هذه الصفاة ابني كنيستي. والقبة محمولة على اربعة اقواس مُثِّلت في جوانبها صور الانجيليين الاربعة بالفسيفساء وفي سقف القبة صورة الآب الازلي بالفسيفساء ايضاً. وفي اقصى السوق الوسطى من الكنيسة كرسي مار بطرس (اطلب الصورة ٢) وهو بناء فخيم من الشَّبَه المموَّه بالذهب في ضمنهِ الكرسي الخشبيّ الذي جلس عليهِ بطرس الرسول وخلفاؤهُ في قرون النصرانيَّة الاولى. ويحمل هذا البناء اربعة اشخاص عظيمة تُمثِّل معلمي الكنيسة اثنان من الغرب وهما القديسان امبروسيوس واوغسطينوس واثنان من الشرق وهما القديسان اثناسيوس ويوحنَّا فم الذهب

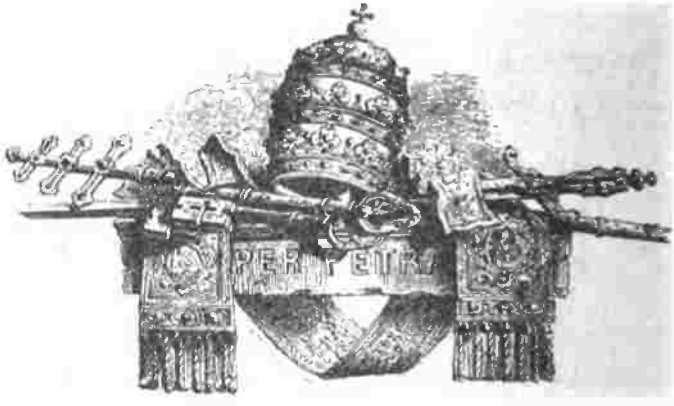

الشمار البابويّ

﴿ لبسهُ ﴾ بزَّة البابا في بلاطهِ بيضاء تتركَّب من مدرعةٍ (soutane) حريريَّة لامعة ذات لِفقَين تضمُّها الازرار (وفي الشتاء تكون المدرعة جوخاً) وعلى حقويهِ منطقة من الحرير ينتهي طرفاها باهداب من الذهب. وعلى راسهِ قلنسوة خفيفة بيضاء

ربّما ابدلها بكُمَّة واسعة من المخمل الاحمر محشّاة في دائرتها بجلد القاقم الابيض. واحذيتهُ من الحرير الابيض مطرَّز على وجهها رسم الصليب يقبّلهُ من يدخل على ابي المؤمنين (راجع المشرق ٤: ٤٣١). وفوق المدرعة كتونة بيضاء مطرَّزة بتخاريم يعلوهـا رداء قصير من الحرير الاحمر وحول عنقهِ بطرشيل احمر مكفوف بالذهب (انظر صورة البابا الحالي في المشرق ٥: ١٩٣) واذا خرج البابا الى حدائقهِ لبس قبعةً من اللبد الاحمر ذات رَعَثات من الذهب وتردّى برداء من الجوخ الاحمر فوق مدرعتهِ

امّا ملابس البابا الحبريّة في الرتب الدينيّة فتشبهُ ملابس الاساقفة الّا انها افخر ومما يختصُّ بامام الاحبار دون غيرهِ تاجهُ المثلَّث الاكلَّة (tiare) ويدعوهُ الطليان المُلك المثلَّث (triregno) دلالةً على سلطة البابا المثلَّثة الممنوحة لهُ من المسيح كمعلم وكرأس الكهنوت وكراعٍ للكنيسة(١. وفي بعض الاعياد يُطاف بالحبر الاعظم محمولًا في محفَّةٍ خاصَّة بهِ. ولهُ عرشهُ البابويّ من الذهب الابريز يجلس عليهِ في اوقات معلومة وعلى جانبيهِ مذبَّتان من ريش الطاووس. هذا فضلًا عن الخاتم الثمين الذي يختم بهِ مناشيرهُ وهو يُعرف بخاتم الصيَّاد نسبةً الى بطرس الحواري الصيَّاد. والخاتم المذكور يمثل صورة القديسين بطرس وبولس مع اسم البابا

﴿ شعارهُ ﴾ للبابا شعار عامّ وشعار خاص. فالشعار العامّ يشمل كل الاحبار الرومانيين يتضمَّن: ١ً التاج المثلَّث الذي سبق ذكرهُ. ٢ً المفاتيح اشارةً الى قول الرب الى بطرس: « سأُعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ». ودلالةً على ذلك يوم تتويج البابا يُقدَّم لهُ مفتاحا كنيسة القديس يوحنّا اللاترانيّة وهي الكنيسة الباباويّة الكاتدرائيّة واحد المفتاحين من ذهب والآخر من فضَّة. ٣ً الصليب المثلَّث العوارض يُحمل امام البابا في المواكب الدينيّة. ٤ً راية الكنيسة الرومانيّة يحملها احد اعيـان رومية. اما الشعار الخاصّ فهو يختلف مع كل فردٍ من الاحبار العظماء. فانَّ شعار لاون الثـالث عشر نخلةٌ في وسطها خطّ من النور وعند راسها على الشمال كوكب ذو ذؤابة وعلى جانبي جذرها زهرتان من السوسن

﴿ مالية البابا ﴾ مُنذ غُصب الحبر الاعظم املاكهُ لم يَعُد لهُ لمصروفهِ الخاص

١) والعالم الكاثوليكيّ في هذه السنة يقدّم للحبر الاعظم تاجًا مثلَّثًا صاغهُ الصائغ الشهـير اوغست ميلاني ويُعَدُّ كاحدى آيات الصناعة في ايّامنا

ولنفقات اهل بلاطهِ سوى حسنات المؤمنين ومدخول بعض الاوقاف التي لم تتَّصل اليها يد المغتصبين. ومع قلَّة ذات يد الاب الاقدس تراهُ ينفق في وجوه الاعمال الخيريَّة وفي سُبل ترقيّ الكنيسة ما لا ينفقهُ اغنى الملوك. وقد نالت الكنائس الشرقية نصيباً عظيماً من هذا الكرم الحاتميّ الذي قيَّد قلوب جميع طوائفنا باسار حبهِ وشكر معروفهِ

﴿ الاوسمة البابويَّة ﴾ هي من خمسة اصناف: اوَّلها وسام القبر المقدَّس. وقد اتاب الحبر الاعظم البطاركةَ اللاتينيين في القدس الشريف عنهُ في منح هـذا الوسام الذي فيهِ اربع رُتب مختلفة وهو يمثِّل صليب اورشليم المخمَّس. وثانيها وسام المسيح وهو اشرف الاوسمة واعلاها قدرًا ولا يُعطى الَّا نادرًا. وهو عبارة عن صليب لاتينيّ احمر محلًّى بالميناء وفي داخلهِ صليب ابيض. ثالثها وسام بيوس التاسع انشأهُ هذا البابا سنة ١٨٤٧ وهو ذو اربع رتب يمثل كوكبًا مثمَّن الاشعَّة في وسطهِ اسم منشئهِ. رابعها وسام القديس غريغوريوس الكبير. وهو وسام عسكريّ ومدنيّ يمثِّل صليباً لكل عارضةٍ منهُ رأسان وللوسام العسكري صفيحة ذات شعار حربي. وكلا الوسامين ينقسم الى اربع رتب. خامسها وسام القديس سلفسترس اضاف اليهِ غريغوريوس السادس عشر وسام مهماز الذهب. وهذا الوسام يمثل صليباً معلقًا بسلسلة من ذهب ولهُ رتبتان. وهو محصور في عدد معلوم من الاشخاص. وللباباوات اوسمة وانواطٌ اخرى غير رسميَّة يمنحونهـا من وقتٍ الى آخر. فان لاون الثالث عشر انشأ وساماً باسمهِ وهو عبارة عن صليبٍ من ذهب او فضَّة او نيكل يُعطى لمن ادَّوا خدماً خصوصيَّة للكنيسة وللحبر الاعظم (pro Ecclesia et Pontifice). فترى مما سبق انَّ نوط « محامي القديس بطرس » لا يدخل في الوسامات البابويَّة

٢ الاسرة البابويَّة

ليس كلامنا هنا عن اهل البابا واقاربهِ وانَّما نريد المنصَّبين من الاقليروس والعالمين لخدمة البلاط البابويّ

١ً (كرادلة البلاط البابويّ) هم اربعة متعلقون بشخص الحبر الاعظم ويُعدُّون كوزراء دولتهِ وهم يسكنون في الڤاتيكان. واعظم هؤلاء الكرادلة كاتب اسرارهِ وهو اليوم نيافة الكردينال رمپولَّا

٢ً (اعيان البلاط البابويّ) هم اربعة ايضاً القهرمان ومتولي تدبير الرتب الدينيَّة وكبير الحجَّاب . والمهردار

٣ً (الحجَّاب السرّيُّون) هم اليوم تسعة منهم مدير الجمعيَّات الخيريَّة وموزّع الصدقات ومنهم وكيل الخزينة البابويَّة . ومنهم كتبة البراآت والمناشير المرسلة للملوك والامراء . ومنهم كاتب اسرار السفارة يوفد الى الملوك والامراء القادمين الى رومية

٤ً (ناظر المعبد الرسوليّ) وهو الواقف يصون آنية المعبد الرسولي ويُعدّ لوازم الرتب الدينيَّة

٥ً (اهل الدار الرسوليَّة) وهم طبقات منهم شرَفيُّون ومنهم من يتولَّى اعمالاً خاصَّة بعضها دينيَّة وبعضها عالميَّة واخصُّ هؤلاء المنصَّبين المساعدون للعرش البابويّ

٦ً (الحشم الرسولي) وهم اربعة من العالميين يتولَّون ادارة المستشفى البابويّ وهندسة الابنية في البلاط الرسوليّ وترميمها وادارة البريد والاصطبلات . ويُعَدّ منهم سفير الوردة الذهبية التي يمنحها البابا مرَّةً في السنة لاحد الاشراف

٧ً (اركان الجيش البابويّ) الحرس الشرفيُّون هم اليوم سبعة وسبعون شخصاً يترأسهم البرنس الرومانيّ أَلتياري واليهم يُعزَى حامل الراية البابويَّة

٨ً (ضبَّاط الحرس السويسريّ) وهم ثلاثة يقودون ١١٧ جنديًّا وكلهم من كاثوليك سويسرة المتطوّعين

٩ً (ضبَّاط الحرس البلاطي) وهم سبعة وتحت امرتهم اربع فرق من الجند كل فرقة تتركَّب من ثمانين جنديًّا

هذا الى مراتب اخرى متعدّدة كالوعَّاظ وجوقات المرتلين وخدَمَة الرتب الدينيَّة . واذا اضفتَ اليهم نظَّار المكاتب البابويَّة ومحافظي متاحف الفاتيكان ومتوليّ نظارة المرصد البابوي بلغ عددهم نيّفاً وخمسة آلاف شخص . ولكل هذه الرتب والمناصب ألَّا القليل منها ثياب رسميَّة زاهية الالوان بهيَّة الاشكال لا تكاد العين ترى من جنسها في بقيَّة الدُّول لمحافظة الاحبار الرومانيين على قديم العادات

٣ النظام الكَنَسيّ

وان كان رأس الكنيسة واحدًا تعود اليهِ كلُّ السلطة وبهِ تُناط كلّ الاعضاء فان النظام يستدعي في هذه الجماعة اقساماً متعددة نجدها في الكنيسة الكاثوليكية على

احسن مثال تتحدَّر اليها قوى الرأس الحيويَّة وتتشعَّب في كل عروق هذا الجسم العظيم

﴿ الكرادلة ﴾ اعلى رتبة في الكنيسة الكاثوليكيَّة الرتبة الكردينالية والكرادلة في الكنيسة كشورى الدولة وامراء البيعة اليهم يستند الحبر الاعظم في تدبير الامور وبينهم يُنتخب خلفاء الاحبار المتوفَّين. وهـذه الرتبة قديمة جدًّا في الكنيسة وكان الكرادلة في الاصل رعاةً لمؤمني رومية في احيائها الشتَّى ثم اختصَّهم الحبر الروماني بشخصهِ وجعلهم رتبةً منفردةً ودُعوا بعدئذٍ بهذا الاسم ومعناهُ « القطبيّ » لانَّهم بمنزلة القطب عليهم مدار الامور. وقد اختلف عدد الكرادلة في تمادي الاجيال الى ان قرَّر البابا سكستوس الخامس بان يكون عددهم سبعين تنويهاً بالسبعين شيخًا الذين اتَّخذهم موسى لقضاء بني اسرائيل واشارةً الى تلامذة المسيح. والكرادلة على ثلاثة اقسام ستَّة منهم من رتبة الاساقفة وخمسون من رتبة الكهنة واربعة عشر من رتبة الشمامسة. وانَّما هذه الاسماء شرَفيةٌ لانهُ يمكن ان يكُون الاسقف من رتبة الكرادلة الشمامسة او الكرادلة الكهنة. ولكن لا يمكن ان يرقَّى احد الى رتبة كردينال اسقف او كردينال كاهن الَّا ان يكون حقيقةً اسقفًا او كاهنًا. واعظم الكرادلة اسقف مدينة اوستية لهُ حقُّ التقدم وهو الذي يسقِّف الحبر الاعظم اذا انتُخب كاهنٌ او شمَّاسٌ لرعاية الكنيسة. ومن الكرادلة الممتازين الكامرلنغ وهو الذي يدبّر الامور بعد وفاة راس الكنيسة الى يوم انتخاب خلفهِ. والكرادلة ينصِّبهم البابا وحدهُ في مجمع عموميّ ويعلن اسماؤهم للدول. وشارة الكردينالية قبعةٌ من الحرير الاحمر ولبسهم من الارجوان. وجاريهم من الخزينة البابويَّة عشرون الف فرنك لكلّ واحد

وعدد الكرادلة اليوم ٦٠ كردينالًا رُقي واحد منهم الى هـذه الرتبة على عهد بيوس التاسع وهو الكردينال اوريليا دي سان ستيفانو وهو اسقف اوستية وكامرلنغ الكرسي الرسولي معاً والباقون كلهم قد اختارهم البابا المالك سعيدًا. وقد بقي عشرة مناصب كردينالية فارغة منـذ وفاة الكردينال باروكي مؤخرًا. امَّا جنسيَّة الكرادلة فتختلف على حسب مشيئة البابا واكثرهم عادةً الايطاليُّون لاسيَّما الرومان. والكرادلة الحاليُّون من اثنتي عشرة دولة

٢ ﴿ البطاركة ﴾ قد ذكر حضرة الاب ميشال تاميزيه ما يختص بالرتبة البطريركية وتاريخها وحقوقهـا (المشرق ٥ : ٤٣٣). وعدد البطاركة الكاثوليكيين في

زماننا اربعة عشر ثمانية منهم لاتينيون وهم بطاركة انطاكية والاسكندريَّة وقسطنطينيَّة (وهذه الكراسي الثلثة شرَفيَّة) واورشليم والبندقية ولشبونة والهند الشرقيَّة والهند الغربية. وستة شرقيُّون وهم ثلاثة بطاركة على انطاكية للروم الملكيين وللموارنة وللسريان ثم بطريرك قيليقية للارمن ثم بطريرك بابل للكلدان ثم بطريرك الاسكندريَّة للاقباط. ومن شارات البطاركة الدرع المقدَّس الذي يمنحهم اياهُ الحبر الاعظم. وهم بقوَّة منصبهم يُعدُّون كمساعدين للعرش البابوي

٣ ﴿ الجثالقة ﴾ كانوا قديمًا يتولَّون شؤون احد الاقاليم تحت نظارة البطاركة وربَّما دعاهم كتبة الشرق باسم اكسرخس. وكان لهم سلطة على الاساقفة في دائرة نفوذهم. امَّا اليوم فصارت هذه الرتبة شَرَفية تُعطى في اسبانية لصاحب كرسيّ طليطلة وفي فرنسة لمطران ليون وفي بلجكة لمطران مالين وفي ارلندة لمطران ارماغ وفي المانية لمطران كولونية وفي النمسة لمطران سَلزْبُرغ وفي بوهيمية لمطران پراغ وفي ايطالية لمطران پيزة ولمطران سالرنو وفي بولونية لمطران غنيسن وپوزن ولمطران ڤرسوڤية وفي هنغارية لمطران غران وفي الجبل الاسود لمطران انتيڤاري وفي البرازيل لمطران سان سلفادور دي لا باي. وللجثالقة حقّ التقدُّم على رؤساء الاساقفة ويُمنحون الدرعَ المقدَّس

٤ ﴿ المطارين او رؤساء الاساقفة ﴾ يبلغ عددهم في يومنا ١٩٤ مطرانًا خمسة وعشرون منهم شرقيُّون من طوائف شتى والباقون لاتينيون. ويضاف اليهم ٨٨ مطرانًا لهم كراسيّ شرَفيَّة من جملتهم القصَّاد الرسوليُّون

٥ ﴿ الاساقفة ﴾ على قسمين قسم يتولى رعاية المؤمنين في كراسي معلومة وعددهم ٧٧٢ اسقفًا. منهم ٥٣ شرقيُّون والباقون لاتينيُّون. وقسم آخر شرفيّ وعددهم ٣٩٢

٦ ﴿ السفراء الرسوليُّون ﴾ اربعة عشر ثمانية منهم في اوربَّة وستَّة في اميركة. هذا فضلًا عن المعتمدين الذين يرسلهم الحبر الاعظم لقضاء بعض الشؤون

﴿ النوَّاب الرسوليُّون ﴾ اكثرهم في الرسالات بين غير المؤمنين وعددهم ١٢٩ اسقفًا. ويضاف اليهم الولاة الرسوليُّون في عدد ٤٢

واذا جُمع عدد المنصَّبين في الكنيسة الكاثوليكيَّة بين كاردلة وبطاركة وجثالقة ورؤساء اساقفة واساقفة وسفراء رسوليين ونوَّاب بلغ المجموع ١٧٣١ مُنصَّبًا. هذا فضلًا

عن الاكليروسَيْن العالميّ والقانوني البالغين فوق الثمانمائة الف نفس. منهم في الرسالات الخارجية بين غير المؤمنين ستون الفاً

٤ الدواوين والمجامع الرومانية

لمَّا كانت الكنيسة لا تزال تتَّسع جيلًا بعد جيـــل وكان العالم الكاثوليكيّ كلهُ منوطاً بالكرسي الرسولي اقتضى الامر بان تُنشأ دوائر شتَّى ودواوين مختلفة لمساعدة الحبر الاعظم في مهامّهِ ولعضدهِ في حل المشاكل المتعدّدة التي تعرض كلَّ يوم للمؤمنين ولرعاتهم وقد بلغت هذه الدواوين والمجامع نحو الثلاثين لا يسعنا هنا تعدادها ونكتفي بذكر بعضها ليعرف القرَّاء عناية الاحبار الرومانيين بكنائس المعمورة كلها اذ لا يفوتهم شيء من احوال مرؤوسيهم حتى في اقاصي الدنيا. واقدم هـــذه الدواوين « ديوان التفتيش » أُنشئ في القرن الثالث عشر لردّ غارات الهرطقات والاضاليل وحفظ وديعة الايمان سالمةً من كلّ شائبة. ويلحق بهذا الديوان « مجمع مراقبة الكتب » ليُحرّم منها ما كان مضادًّا للايمان او منافياً للآداب أُنشئ سنة ١٥٧١. ومن هذه المجامع « ديوان المجالس البابويَّة » غايتهُ تهيئة الموادّ التي ينبغي البحث عنها في المجالس الكرديناليَّة تحت رئاسة البابا. ومنها دواوين مختلفة لانتخاب الاساقفة والفحص عن اهليَّتهم والنظر في شؤونهم ودعاويهم وملازمتهم لأبرشيَّاتهم وكذلك دواوين لمراقبة الرهبانيَّات وصيانة رسومها والعناية بامورها. ومنها « ديوان المجمع » لتنفيذ قوانين المجمع التريدنتيني وحلّ المشكلات المتعلقة بهِ. ويلحق بهِ ديوان آخر يدعى « ديوان المجامع الاقليميَّة » غايتهُ فحص اعمال المجامع الخاصَّة المنعقدة في كل بلد وتثبيتها. ومن الدواوين الشهيرة « مجمع انتشار الايمان » تتعلَّق بهِ كل امور الرسالات بين غير المؤمنين في اربع خوافق المسكونة. ولهذا المجمع مكتبة غنيَّة بالآثار الدينيَّة ومطبعة شهيرة نشرت منذ نحو ٣٠٠ سنة الوفاً من الكتُب الدينيَّة والعلميَّة في كل اللغات المعروفة. ويلحق بهـــذا المجمع ديوان خصوصي « لامور الطوائف الشرقيَّة ». ومنها « ديوان الطقوس » لصيانة الفرائض الدينيَّة ولتثبيت قداسة اولياء الله. ولكنائس رومية لاسيَّما كنيسة مار بطرس ديوان آخر لتنظيم رتبها الكنسيَّة. ومنها « ديوان الغفارين والذخائر » لمنح الغفـــارين الشرعيَّة ولفحص ذخائر الشهداء والقديسين قبل عرضها على المؤمنين ليكرموها. ومنهـــا « ديوان الامور الكنسيَّة غير العاديَّة » الحادثة في العالم مع الدول والممالك. ومنها دواوين لتنشيط الدروس اللاهوتيَّة

والفلسفية والتاريخيَّـة وترويج اسواقها وتنظيم تعاليمها. وفي السنة المنصرمة قد انشأ البابا لاون ديوانًا جديدًا للدروس الكتابية وتفسير الاسفار المقدَّسة. ومن هذه الدواوين ايضًا « مجمع التوبة الرسولي » لحلّ الخطايا المحفوظ حلُّها لرأس الكنيسة ورفع التأديبات البيعيَّة وتبديل النذور والنظر في شرعية الزواج والحكم في المشاكل الادبيَّة. ومجمع « الداتاريا » لتحليل موانع الزواج وتوزيع المناصب ذوات الرواتب (bénéfices) وغير ذلك . واخيرًا ديوان « الروتة » وهو شبيه بوزارة العدليـة الَّا انهُ يختصّ بالحقوق القـانونية . وهذا الديوان قد ضُمَّ اليوم الى ديوان الطقوس. وكل هـذه الدواوين يرأسهـا الكرادلة ولها جماعة من المستشارين والكتبة ولها جلسات تعقدها في ايَّام معيَّنة واذا اتَّفق اصحابهـا على شيء رفعوهُ الى امام الاحبار ليحكم فيهِ حكمًا نهائيًّا. وقد اجملنا فيها الكلام فانَّ التفاصيل عنها تستـدعي شرحًا مطوَّلًا لا يمكننا الخوض فيهِ

• الكاثوليك

رأيت في الاقسام السابقة ان الكنيسة في نظامها كجيشٍ مصفوف تحت الرايات كما وصفها الكتاب الكريم (سفر الاناشيـد ٦ : ٣) غير انَّ نظامها هذا لا يتمّ الَّا بالشعب المسيحيّ الذي تراهُ منتشرًا في كل اقطار العالم لا تخلو منهُ البلاد النازحة ولا الجزائر القاصية. وهذا الشعب في نماء متواصل وقد رأينا احصائين حديثين لآخر السنة المنصرمة فاذا فيهما عدد الكاثوليك يُربي على ثلثمائة مليون. وما هو جدير بالاعتبار انَّ شعوبًا جديدة لا تزال تحني المناكب لنير المسيح اللين وتدين بالنصرانيَّة لا قسرًا وكرهًا بل بطيب القلب وقد رأينا هذه الامم بعد ارتدادهـا قد جحدت كلَّ اباطيلها ومارست الفضائل السامية وربَّما اراق المحدثون في التنصُّر دماءهم في سبيل الايمان كما شُوهد في الصين والتُّبَّت والتُّنكين وفي اواسط افريقية. ولا نتَّسع هنا في الشرح بعد ما كتبناهُ منذ سنتين عن الكثلكة في القرن التـاسع عشر (راجع المشرق ٤ : ١٠٠٩ و ١٠٨٧)

وفي الختام نتمنَّى ان يزداد كلَّ يوم شعب الله عددًا وصلاحًا تحت نظارة صاحب اليوبيل وراعي الاغنام الناطقة الى أن يثيبهُ الله بعـد سنين عديدة ثوابًا واسعًا لحسن متاجرتهِ بالوزنات اللهمَّ امين